https://doi.org/10.54809/jkss.vi4.251

گۆڤاری کوردستانیی بۆ لێکۆڵینەوەی ستراتیجیی

Copyright © Open access article with CC BY-NC-ND 4.0

ظواهر صوتية عند الشيخ جلال الحنفي
دراسة (الإدغام والإقلاب والإخفاء)أنموذجًا

م. لاوكۆ أمير محمد عزيز (طالب دكتوراه)
قسم اللغة العربية- كلية التربية الأساس- جامعة حلبجة-
إقليم كوردستان- العراق
lawko.muhammad@uoh.edu.iq

أ.د. طه صالح أمين آغا
قسم اللغة العربية-كلية اللغات-جامعة السليمانية-إقليم
كوردستان-العراق
Taha.amen@univsul.edu.iq

الملخص
يهدف هذا البحث إلى الوقوف على مجموعة ظواهر صوتية تختص بدراسة الحروف في اللغة العربية، والتي حظيت بعناية كبيرة من لدن الباحثين من علماء اللغة، كونها مبحثًا من المباحث المشتركة بين علم الأصوات وعلم التجويد، وهي (الإدغام والإقلاب والإخفاء)، وذلك من منظور الشيخ جلال الحنفي البغدادي. إذ يعدُّ جلال الحنفي واحداً من المتخصصين البارزين في الدّراسات الصَّوتية في العراق، تناول قضايا صوتية عديدة، درس من خلالها علاقات التأثير والتأثر بين الأصوات العربية، وبيَّن أهميتها التي يمكن أن تؤديها في الأداء الصوتي، وكان له آراء سديدة ونظرات مختلفة تجاه هذه الظواهر، من حيث الوقوف على مفهومها، وأنواعها، وحدودها، والعلل التي تقف وراءها، إذ ذهب فيها مخالفًا آراء من سبقوه في تفسيرهم لها. فدرسها دراسة نقدية تفسيرية مبنية على أساس الملاحظة الذاتية، أو تحليلات صوتية تؤيدها الدراسات الصوتية الحديثة، وحاول تفسيرها تفسيراً صوتيًا، كما سعى من خلالها إلى الكشف عن الخلل والاضطراب الذي وجده في تفسير بعض مصطلحات هذه الظواهر عند غيره من علماء اللغة والتجويد.

الكلمات المفتاحية: الظواهر الصوتية، علم التجويد، أحكام النون الساكنة، الأداء الصوتي، المصطلحات الصوتية.

Recieved: 7/2/2023
Accepted: 19/3/2023

E-ISSN: 2790525-X
P-ISSN: 27905268

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين...

أمَّا بعد:

فإنَّ النظام الصوتي للغة العربية مبني على دراسة الحروف، والحرف يتكون من عدد من الصفات الصوتية التي تتميز بها، والكلام سلسلة من أصوات متصلة، فنلحظ أن الأصوات قد تتأثر بعضها ببعض في الأداء الصوتي، فتنتج عددًا من الظواهر الصوتية تختلف أداءً وقواعد تميزها من بعضها، فينبغي مراعاتها. لذلك تقتضي هذه الظواهر دراسة علمية قائمة على الأسس التي تُبنى عليها التحليلات الصوتية.

وقد أدرك الحنفي أن الدَّرس الصوتي لا يتوقف عند دراسة مخارج الحروف وصفاتها مفردةً، بل لابد من دراسة ما يُحدثه التركيب من آثار في صفات الأصوات، لذلك بدأ يبحث في ظواهرها الصوتية وقواعدها الأدائية فبيَّن عددًا منها، التي ينبغي مراعاتها في الأداء الصوتي. ووضعها تحت الدراسة والبحث لمعرفة كل جوانبها.

من هنا ارتأت هذه الدراسة أن تسلط الضوء على ثلاث ظواهر صوتية تناولها الحنفي وهي (الإدغام والإقلاب والإخفاء)، بغية الوصول إلى الفهم الصحيح لها، والكشف عن حقيقة ما قدمها من إضافة تفسيرات صوتية جديدة، أو إعادة صياغة المصطلحات والتعاريف الدّالة على كل واحد منها. معتمدة في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي، لوصف المادة العلمية لدى الحنفي من جهة ، ومن جهة أخرى لبيان ما أضافه على جهود سابقيه من تحليلات وتفسيرات صوتية .

وعلى هذا الأساس اقتضى البحث أن يكون في ثلاثة مباحث، المبحث الأول شمل التعريف اللّغوي والاصطلاحي للإدغام مع بيان أنواعه. و المبحث الثاني تضمن دراسة جميع ما يتعلق بمفهوم القلب عند الحنفي، وعند غيره من العلماء قديمًا وحديثًا، ثمَّ تحديد دائرته. أمَّا المبحث الثالث والأخير، فأظهرنا فيه ما يدل عليه مصطلح الإخفاء وعلاقته بمصطلح الإشمام، فضلًا عمَّا يترتب عليه من مراتب صوتية.

المبحث الأول

الإدغام:

الإدغام ظاهرة صوتية لغوية واقعة في كلام العرب ، قال أبو عمرو بن العلاء الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره»(الجزري، د.ت، ص:٢٧٥/١).

الإدغام لغةً: هو إدخال حرف في حرف. يقال: أدْغَمْت الحرف وادَّغَمْتُه، على افْتَعَلْتُه. والإدغامُ: إدخال اللجام في أفواه الدَّواب. وأدْغَم الفرس اللجامَ: أدخله في فيهِ، وأدغم اللجام في فمه كذلك (ابن منظور، ٢٠١٤، (دغم)،٢٧٢/٥). وجاء اللفظ بالتخفيف عند الكوفيين وبالتشديد عند البصريين(ابن يعيش، د.ت.، ص:١٢١/١٠).

أمّا في اصطلاح النحويين والقُرَّاء فله تعريفات تختلف في اللفظ وتتحد في المعنى.

يعرفه بعض علماء القراءات بأنه»اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشددًا»(الجزري، د.ت، ص:٢٧٤/١)، وقال ابن السراج: الإدغام هو:»وصلك حرفًا ساكنًا بحرفٍ مثله متحرك من موضعه من غير حركة تفصل بينهما ولا وقف، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة ويشتد الحرف» (١٩٩٦،ص: ٤٠٥/٣).

وعرَّفه ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) بقوله : «الإدغام: تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه من مخارج اللسان كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه»(١٩٧٢، ص: ١٢٥).

وقال ابن جني:» إنما يجب أن يدغم الشيء في مثله حتى ينبو اللسان عنهما معًا نبوة واحدة. فإذا اختلف الحرفان لم يجز الإدغام(١٩٥٤، ص:٩١/٢).

إذن الإدغام:» هو إلباث الحرف في مخرجه مقدار إلباث الحرفين في مخرجهما» (التهانوي، ١٩٩٦، :١٣٠/١).

أما المحدثون فقد اصطلحوا على هذه الظاهرة بتسميات مختلفة منها المماثلة الكلية والمماثلة الجزئية(عمر ،١٩٧٦، ص: ٣٢٥)، أو تأثر الأصوات بعضها ببعض، أو التماثل الكلي إذا تطابق الحرفان تماما، والتشابه الجزئي إذا لم يتطابق تماما (برجشتراسر، ١٩٩٤، ص: ٢٩).

بهذا ندرك أن هناك صلة بين التعريفات الاصطلاحية واللغوية والتي تمثل في معنى الإدخال والتغطية .

وقد أولى الحنفي ظاهرة الإدغام عناية خاصة، إذ درسها مستوعبًا كل ما يتعلق بها من معانٍ وأصول، وعلل، وأنواع، وذهب فيها مخالفاً آراء من سبقوه في تفسيرهم لها. ولم يجر على سنن المؤلفين في بيان معنى الادغام، ففي البداية أخذ على علماء التجويد أنهم لم يصفوا هذه الظاهرة على وجه سليم ودقيق، وذلك حين قالوا : إنَّ الإدغام هو ادخال حرف ساكن بمثله أو مقاربه ادخالًا شديدًا بحيث يصيران حرفًا واحدًا مشددًا من جنس الثاني، يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة (الداني، ٢٠٠٠، ص: ١٠١، القيسي، ١٩٩٦،ص: ٢٦٣) .

وقد علق الحنفي على هذا التعريف بأنه لا يفهم من جميع صور الادغام أنَّه ادخال حرف في حرف، والذين زعموا ذلك «بحيث يرتفع اللسان عنهما مرَّةً واحدة أو ارتفاعة واحدة قد لاحظوا أنَّ اللسان حين يقع على الحرف السّاكن المدغم يظل منوطًا به حتى يُلفظ ثانية وعليه في هذه المرَّة حركة من الحركات، يستوي في ذلك أن يكون الحرف مقرونًا بغُنَّة وأن لا يكون مقرونًا بها. فإنَّ الحرف المدغم في نظيره إنَّما ينطق مرَّتين وعلى مرحلتين صوتيتين متتابعتين وهذا ظاهر صوتيًا.(١٩٨٧، ص:٢٢٠-٢٢١).

وإنَّ ما اعتمد عليه لتعليل ارتفاع اللسان في الادغام «أن النطق بالحرف الساكن يكون من طريق الاصطكاك والقُرب والتشبث، أما بالحرف متحركًا فيكون من طريق الانفكاك والبعد والانفلات، بهذا لا تكون هنالك ارتفاعة واحدة في حالات الادغام التي تتكون من حالتي النُّطق بالحرفين الساكن والمتحرك» (١٩٨٧، ص:٢٣٩).

كما لم يخف عنه أن يشير إلى أن ارتفاعة واحدة تكون في حالات كاليائين اللتين في قوله تعالى{لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ }(يوسف:٧)، لكن هذه الحالات على حد قوله لا مكان للادغام فيها، ومثل هذا في الواو في قوله تعالى:{ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ }(الشعراء:٩٦)إذ أن استمرارية وجود الواوين في فلك صوتي واحد وهو ما سموَّه بارتفاعة اللسان ارتفاعة واحدة لم ينشأ منه شيء من الإدغام المزعوم .(الحنفي، ١٩٨٧، ص: ٢٢١).

قديمًا أشار علم الدين السخاوي إلى معنى الإدغام واصفًا إياه بقوله»أن تصل حرفاً ساكناً بحرف متحرك مماثل له، يرتفع العضو عنهما ارتفاعةً واحدةً ، وإنما قلت (العضو) ولم أقل اللسان كما قال غيري لأن مثل (ثوب بّكر) ، لا يقال لهما ارتفع اللسان عنهما ارتفاعةً واحدةً» (١٩٨٧، ص:٤٨٥\٢)، وما يفهم من هذا القول أن السخاوي لم يقيد الادغام بارتفاع اللسان ولا سيما في الحروف التي لا صلة للسان في نطقها كالأصوات الشفوية. وفي الوقت نفسه لم ينف الارتفاع مرة واحدة.

بينما نجد سيبويه قد ذكر في مواضع مختلفة من كتابه وضع اللسان في حالة النطق بالصوتين المدغمين، فقال في باب الإدغام:»هذا باب إدغامُ الحرفينِ اللذينِ تضعُ لسانَكَ لهَما موضعًا واحداً ولا يزول عنه»(١٩٨٢، ص:٤٠٧/٤).

لذلك خالف الحنفي علماء اللغة والتجويد، ذلك أنّه ينكر أن يكون الارتفاع مرة واحدة، والذي يبدو أنه انفرد بهذا الرأي. وهذا ما جعله أن يصرّح بأن من قال ذلك فهو واهم (١٩٨٧، ص:٢٣٩).

في هذا السياق اتفق د.عبدالرحمن الحاج صالح مع ما ذهب إليه الحنفي في وجود مقطعين صوتين في عملية الادغام إلَّا أنه أنكر أن يكون هناك ارتفاع مرة أخرى، وعلل ذلك بأن عملية حدوث الصوت تحتاج إلى حبس النفَّس وامتداد هذا الحبس ثم إطلاق النفَّس، وهذه الأطوار تجعل آلة النطق تعمل في الادغام عملًا واحدًا متصلاً (٢٠١٢، ص:١/ ٣٦٤).

وكذلك تذهب الدراسات الصوتية الحديثة إلى أنَّ ارتفاع اللسان عن الصوتين المدغمين يكون ارتفاعة واحدة، إذ «قام العالم السويسري (فنتلر) منذ أكثر من خمسين عامًا ببحوث تجريبية خرج منها بأن الناطق بحرفين متواليين إذا تماثلا أو تشابها -لدرجة أن آلات النطق لكي تنطق الحرف الثاني منهما تحتاج أن تتحرك نفس الحركة التي تحركتها لكي تنطق الحرف الأول منهما- فإن الناطق لا يجيء بهذه الحركة إلا مرة واحدة»(شاهين، ١٩٨٧، ص:٢١٣).

أما ما يتعلق بمفهوم الإدغام من حيث أنه إدخال حرف في الآخر، فهو الحديث عن أصل حرف المشدَّد، فثمة خلاف بين علماء اللغة حول اعتبار الحرف المشدَّد، هل هو مقابل حرفين أم حرف واحد أطيل زمنه؟ يقول كانتينو معرفًا الحروف المضعَّفة بأنها:»هي التي يمتد النطق بها، فيضاهي مداها مدى حرفين بسيطين تقريبًا، وترسم هذه الحروف عادة في الأبجدية الأوربية بحرفين متتابعين،)ب ب bb ( )م م (mm»(١٩٦٦، ص:٢٥).

ومن ثَمَّ ذهب د. رمضان عبدالتواب إلى القول بأن:» ما نعرفه باسم الحرف المشدد، أو الصوت المضعَّف، ليس في الحقيقة صوتين من جنس واحد، الأول ساكن والثاني متحرك كما يقول نحاة العربية، وإنما هو في الواقع صوت واحد طويل، يساوي زمنه زمن صوتين اثنين(١٩٩٧،ص:٩٧).

بناءً على هذه الملاحظة أكد فندريس على» أنه من الخطأ أن يقال بأنه يوجد ساكنان في أتَّا (atta)و ساكن واحد في أتا(ata) فالعناصر المحصورة بين الحركتين في كلتا المجموعتين واحدة، عنصر انحباسي يتبعه عنصر انفجاري، ولكن بينما نجد العنصر الانحباسي في ata) (يتبعه العنصر الانفجاري مباشرة، نجده في (atta) ينفصل عنه بإمساك يطيل مدى الإغلاق» (٢٠١٤، ص: ٤٩).

وقد رأى د.داود عبده أن الصوت المشدَّد يقابل صوتين، قائلًا:»إن طريقة لفظ الأصوات اللغوية ليس هو القياس لاعتبارها صوتا واحدا أو صوتين، وأنما المقياس هو التحليل الذي يفسر الظواهر اللغوية تفسيرا أفضل. ومن وجهة النظر هذه نجد أنه لابد من اعتبار الصوت المشدد في اللغة العربية صوتين لغويين متماثلين لا صوتا واحدا، وذلك لأسباب عدة وقد ذكر عدة أسباب تتلخص في أن الصوت المشدد يقابل صوتين في بنية الكلمة العربية. فالدال في (ارتدَّ) تقابل صوتين في (ارتددتُ) والنون في (أسنَّة) تقابل صوتين في (سنان). والدال في (مدَّ) تساوي صوتين لأنها على وزن (فَعَلَ) بدليل (مددْتُ) (١٩٧٣،ص ٣٠-٣٢).

لذلك عرَّف أحمد مختار عمر الادغام بأنه:»إحلال صوت صامت طويل محل الصوتين الساكنين القصيرين»(١٩٧٦،ص: ٣٣٣).

ولكن لم يخف عن القدامى أن يفرقوا بين الظاهرة الصوتية وحقيقة أصولها، فإنهم لم يعدّوا الحرف المشدد أصلًا واحدًا، بقدر ما حاولوا وصف الظاهرة، ولعَّل أدل دليلًا على ذلك ما ذهب إليه الخليل في قوله:»اعلم

أنَّ الـراء في اقشـعرَّ واسـبكرَّ هـما راءان أُدغِمَـتْ واحـدة، والتَّشـديد علامـةُ الإدغـام»(د.ت.، ص: ٤٩/١).

وأمـا الذيـن حكمـوا بـأن الحرفـين المدغمـين يصـيران كالحـرف الواحـد فإنهـم كانـوا يسـلكون مسـلكًا يقربـون فيـه الحرفـين تقريبًـا شـديدًا، بحيـث يبالغـون في صلـة أحدهـما بالآخـر إلى حـد يجعلـون الحرفـين-في نظرهـم- حرفًـا واحـدًا لقـوة الصلـة الصوتيـة بينهما(هـلال، ٢٠١٤،ص: ١٦٢). لأنـه مـن الـضروري لتحقيـق الإدغـام وجـود علاقـة صوتيـة بـين الصوتـين المجاوريـن، ليتـم التأثـير تماثـلًا، وهـذا التماثـل يعتمـد عـلى زيـادة زمـن النطـق بالحـرف الواحـد لإدغـام صاحبـه فيـه، بحيـث لا يفـرق بـين المخفـف والمشـدد إلا الزيـادة الزمنيـة في مـدة النطق(برجشـتراسر، ١٩٩٤،ص:٥٣)،وهـذه العمليـة يتوقـف عـلى تقـارب المخـرج أو اتحـاده، وكـون الصوتـين مـن مجموعـة واحـدة مـن الصوامـت أو الصوائت(شـاهين ، ١٩٨٠، ص:٢١٠).

وهـذا مـا جعـل د.غانـم قـدوري الحمـد أن يـصرح بـأن الـدرس الـصوتي يعتمـد في تحديـد الصـوت المشـدد عـلى مـا هـو منطـوق ومسـموع، بينـما الـدرس الـصرفي يعتمـد في تحديـد طبيعـة الصـوت المشـدد عـلى دوره في بنيـه الكلمـة لذلـك أن المنهـج الصحيـح في الصـوت المشـدد ينبغـي أن يراعـي نـوع الدراسـة التـي يعالجهـا الـدارس(٢٠٠٧، ص: ٤٧٢).

لذلـك أصـاب الحنفـي حـين أوضَّـح أن الشَّـدَّة المتَّخـذة عـلى الحـرف المكـرر في الكلمـة هـي علامـة قلميَّـة لا صوتيَّـة، معلـلًا ذلـك بـأن العروضيـين عندمـا يكتبـون الحـرف الـذي وقـع عليـه الإدغـام مكـرَّرًا كتبـوه مرَّتـين فقالوا:(مُحَمْمَـدْ)، كـما رأى أن الشَّـدة ربمـا وضعـت اعتباطـا عـلى حـروف غـير مُشـدَّدة كـما في لام الجلالة(اللّـه) (١٩٨٧،ص:٢٢٠).

وتبعًـا لذلـك حـدّدَ معنـى الإدغـام في الأداء الصَّـوتي بأنـه تكـرار للحـرف الواحـد في مقطعـين صوتيَّـين متجاوريـن أولهـما سـاكن وآخرهـا متحـرّك واشـترط أن لا يكـون بـين المقطعـين سـكتٌ ولا وقـفٌ وإنمـا يُجتهـد في أن ينطـق بهـما عـلى هيئـة فيهـا شيءٌ مـن المـوالاة التَّامـة والتَّرابـط الوثيـق(١٩٨٧، ص:٢١٩). أي ليـس ادخـال حـرف في حـرف. وإن مـا ركـز عليـه الحنفـي في هـذا التعريـف هـو قيـد أن لا يكـون بـين المقطعـين سـكت ولا وقـف، وهـو أسـاس مهـم جـدًا، لأن في حـال التراخـي يخـرج الادغـام عـن حقيقتـه.

ومـا يؤيـد مـا ذهـب إليـه الحنفـي أنَّ الزمخـشري اسـتعمل الإدغـام مجـازًا عندمـا أدغـم الحـرف في الحـرف (١٩٩٨ : ص:٢٨٩/١)، أي لا يدخـل الواحـد بالآخـر بـل يتصـل حرفـان مثـلان فيخرجـان بالتشـديد. وكذلـك اعـترض ابـن الجـزري عـلى اسـتعمال مصطلـح الدخـول قائـلاً:» وليـس بإدخـال في حـرف كـما ذهـب إليـه بعضهـم، بـل الصحيـح أن الحرفـين ملفـوظ بهـما كـما وصفنـا طلبًـا للتخفيـف»(د.ت.، ص:٢٧٩/١)، بذلـك لا يضيـع الهويـة المسـتقلة لأي منهـما في البنيـة المقطعيـة. فعندمـا يكـون الثـاني متحـركًا فـإن كل واحـد مـن الحرفـين ينتمـي إلى مقطـع صـوتي مسـتقل فيكـون الأول مـن الحرفـين تقفيلـة للمقطـع الأول والثـاني بدايـة للمقطـع التـالي، ويعطـي هـذا الأمـر الانطبـاع بوجـود تلفظـين متتابعـين (النـاصر، ٢٠٠٩، ص:٨٧، مكريني، ٢٠١٣، ص:١٥٦).

مـما سـبق ظهـر لنـا أن مـا ذهـب إليـه الحنفـي في ارتفـاع اللسـان في عمليـة الإدغـام لا تتفـق مـع مـا حدَّدتـه الدراسـات الصوتيـة قديمًـا وحديثًـا، ولكـن نؤيـده في تحليلـه الصـوتي لمعنـى الادغـام الـذي لا يعنـي ادخـال حـرف في حـرف آخـر، ذلـك أن الحـرف المدغـم عبـارة عـن مقطعـين صوتيـين ولا يصـيران حرفًـا واحـدًا بـل يحتفـظ كل واحـد منهـما بواقعـه الصـوتي في عمليـة الإدغـام . لذلـك نميـل إلى الـرأي القائـل بـأن الحـرف المشـدد حرفـان لا حـرف واحـد. كـما أشـار إلى ذلـك علـماء اللغـة والقـراءات حـين ذكـروا أن المشـدد يقـوم مقـام حرفـين في الـوزن واللفـظ.

-أمـا مـا يتعلـق بحـروف الإدغـام فنجـد الحنفـي يخالـف أيضًـا علـماء اللغـة والتجويـد في حصرهـم حـروف الادغـام

في ستة حروف يجمعها (يرملون)، فعنده أنَّ الإدغام يقع على جميع حروف الهجاء- إلا الألف- ومن هذه الحروف أربعة تكون مصحوبة بغنَّة وهي (يومن) وبقيَّة الحروف لا غنَّة في ادغامها(١٩٨٧، ص:٢٢٤). على هذا الأساس وصف تقسيم العلماء للحروف التي يقع لها الادغام بالغريب والتوهم، إذ نجده يخالف ابن جني الذي زاد على الألف ألفًا أخرى توكيدًا في قوله:»فلمَّا التقت ألفان حرَّك الأولى فانقلبت همزة»(٢٠١٨، ص:١٠٢/١)فصرَّح أن ابن جني قد وقع في التوهم وما ذكره لا مفهوم له، ولن تتحرَّك الألف لأنها حرف مديّ لا غير(١٩٨٧، ص:٢٣٩).

وإلى ما ذهب إليه الحنفي قال إميل بديع يعقوب بوقوع الإدغام في جميع الحروف العربية ما عدا الألف(٢٠٠٦، ص:٣١٢\١١).

وقديمًا أشار ابن عصفور إلى أن كل مثلين قد يدغمان إلا الألفين والهمزتين، وبيَّن سبب ما ذهب إليه بأن الألف ساكنة فلا يدغم في ساكن، والهمزة ثقيلة، فالعرب تخفف الواحدة فاجتماع الهمزتين أثقل. ولكنه بيَّن أن الهمزتين يجوز ادغامهما إذا كانتا عينين مثل (سأل) و (رأس) و ذلك لأصالة العين التي لا يجوز أن تبدل. أما إذا كانتا غير عينين فإن إحداهما تبدل فيزول اجتماعهما الداعي إلى الإدغام (١٩٨٧، ص:٦٣٣/١).

وقد أشار سيبويه إلى سبب منع إدغامهما، إذ قال :» من الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه، كما لم يدغم في مثله، وذلك الحرف الهمزة لأنها إنما أمرها في الاستثقال التغيير و الحذف... وكذلك الألف لا تدغم فيما تقاربه لأن الألف لا تدغم في الألف»(١٩٨٢، ص ٤٤٦/٤).

وفي هذا السياق علق د.عبدالرحمن الحاج صالح على رأي الحنفي بخصوص حروف الإدغام بأن جميع المصنفين يذكرون هذه الأحرف الستّة(يرملون) في باب خاص بأحوال النون الساكنة وعنده هذا كاف لرفع اللبس في هذا الأمر(٢٠١٢، ص:٣٥٦\١١).

أمّا ما وراء تطرق الحنفي لحروف الإدغام نظرته الشاملة لقواعد التجويد وشموليتها على ألفاظ الناس، من أجل هذا بحث في المتن اللغوي و ساق أمثلة لما يقع فيها الادغام لسائر الحروف العربية من القرآن الكريم وكلام الناس والشعر ليبين من خلالها نظرته، نورد بعضًا منها(١٩٨٧، ص:٢٢٦ وما بعدها) :

- الادغام في حرف الجيم وذلك نحو :رَجَّعَ وتَشَجَّع وماء مَجّ ومما جاء لديهم منه بين كلمتين(حَجِّج جَدَّك) أي يَسّر لجدّك الحجَ واذهب معه لأدائه.

- وفي الحاء من كلام الناس: (أصَلِح حوضَ مائك)، و(نَقِّحْ حديثك)، و(رَجِّحْ حديث الحقّ على حديث الباطل).

- وفي الشين في الشّعر:

فقل للشّامتين بنا أفيقوا سيلقى الشَّامتون كما لقينا

-وفي حرف الفاء في الشّعر:

لا ترْتَشفْ فضلَ كأسٍ يومًا لِغيرِ حبيبٍ

-وفي الياء من كلام الناس:(يَرعاك اللّه: أي يحفظك)، وغيرها من نماذج لبقية الحروف.

وما تجدر الإشارة إليه أنه لم يوثر عن علماء اللغة أنهم حصروا حروف الإدغام في هذه الأحرف الستة، ولعَّل فيما ذهبوا إليه في تقسيم أنواع الإدغام إلى المتماثلين والمتقاربين والمتجانسين إشارة إلى وقوع الإدغام في جميع حروف العربية لأن الادغام في هذين النوعين لا ينحصر في هذه الأحرف الستة.

من ذلك يتضح لنا أن الحنفي أصاب فيما ذهب إليه من وقوع الادغام في جميع حروف العربية ما عدا

الألـف. إلاَّ أن وصفـه العلـماء بالتوهـم فيـه شيء مـن الاجحـاف بحـق هـؤلاء العلـماء.

-أنواع الإدغام

أدرك الحنفـي» أنَّ الإدغـام لا يقـع إلاّ بـين حرفـين مكرريـن هـما في الأصـل شيء واحـد، فـإن أريـد ادغـامُ حـرفٍ في حـرفٍ آخـر غـيره، وجـب إقـلاب أحدهـما إلى مثـل صاحبـه وإلاَّ امتنـع الادغـام واسـتعصى واسـتحال»(١٩٨٧، ص:٤٦٥) بنـاءً عـلى هـذا التعريـف فـلا يقـع الادغـام بـين حرفـين أحدهـما مفخـم والآخـر مرقـق.إلاَّ بعـد إقـلاب أحدهـما إلى نظـيره بحيـث يملـك جميـع مواصفاتـه (الحنفـي، ١٩٨٧، ص:٢٢١).

والـذي يبـدو أنـه خـصَّ الإدغـام بالحـروف المشـددة أمـا إن كان الحرفـان مختلفـين فذلـك إقـلاب -في نظـره- لذلـك مـا يقـع لتلـك الحـروف فقـد تناولـه الحنفـي في بـاب الاقـلاب.

وقـد ظهـر هـذا التداخـل عنـده في حديثـه عـن أنـواع الإدغـام، فـكان لـه رأي في تقسـيم الادغـام إلى ادغـام المتقاربَـين وادغـام المتجانسـين، فقـد شـاع هـذا التقسـيم بـين علـماء التجويد فهـم يعرّفـون المتجانسـين: بأنهـما الصوتـان المتفقان في المخـرج المختلفـان في الصفـة كالتـاء والطـاء والسـين والصـاد، أمـا المتقاربـان فهـما : الصوتـان اللـذان بينهـما تقـارب في المخـرج أو الصفـة أو فيهـما كالـدال والسـين أو الشـين والـذال والـزاي والـلام مـع الراء(ابـن الجـزري، د.ت.، ص:٢٧٨/١).

لكـن الحنفـي وجـد أنَّ مـا جعلـوه مـن المتقاربـين، عمليـة إقـلاب تـؤول إلى إدغـام التماثـل، مـن ذلـك{ وَقُـلْ رَبِّ أَدْخِلْنِـي} (الإسراء:٨٠)،فـإن التّقـارب هنـا عنـده هـو سـبب الإقـلاب لا سـبب الإدغـام(١٩٨٧، ص:٢٣٤).أي قلبـت الـلام راءً. بذلـك وصـل إلى نتيجـة أن لا أصـل لمـا سـموه بإدغـام المتقاربـين والمتجانسـين، فكلاهـما عنـده نمـط مـن ادغـام التّماثـل (١٩٨٧،ص:٤٦٥).بذلـك خالـف جميـع مـن اتبعـوا هـذا المنهـج في أنـواع الإدغـام.

والـذي يظهـر أن الحنفـي ينكـر أن يكـون هنـاك إدغـام في حالـة قلـب حـرف إلى أخـرى، فعنـده عمليـة إقـلاب، كـما أنـه لم يكـن الوحيـد الـذي أشـار إلى هـذا التداخـل في مصطلحـات علـم التجويـد، فهنـاك مـن المحدثـين مـن يـرى أن الإدغـام الصغـير ليـس مـن الإدغـام، وبحثـه في الإبـدال أولى مـن بحثـه في الإدغـام، لأن حقيقـة الأمـر أنـك أبدلـت حرفًـا وإن كانـت العلـة تقريـب صـوت مـن صوت(النعيمـي، ١٩٨٠، ص:٣٤٠).

لكـن مـا يزعمـه الحنفـي لحـدوث عمليـة الإقـلاب قبـل الإدغـام لم يكـن خافيًـا عـن علـماء اللغـة، إذ ذهبـوا إلى أنَّ علـة التماثـل تقـع في ادغـام المتقاربـين، لكـن أشـاروا إلى أن مـا يفارقهـا في هـذا الإدغـام أنهـا تـأتي بعـد علـةٍ أخـرى هـي التقـارب (عنـاد، ٢٠١١، ص: ١٩٢). ففـي حالـة التجانـس أو التقـارب بـين الصوتـين فـإنَّ أحدهـما يؤثـر في الآخـر، ويمنحـه شـيئًا مـن خصائصـه، أو كلهـا، وهـذا مـا يعـرف بظاهـرة المماثلـة في الـدرس الصـوتي الحديث.(شـاهين، ١٩٨٠، ص: ٢٠٨).

كـما أنَّ الغايـة في الإدغـام المتقـارب هـي نفسـها التـي تـأتي مـن أجلهـا في المتماثـل، والتـي تتمثـل في توفـير الجهـد في النطـق بالصوتـين مـن مخـرج واحـد، قـال ابـن يعيش:»اعلـم أنَّ الحـروف المتقاربـة تجـري مجـرى الحـروف المتماثلـة في الإدغـام، لأنّ المتقاربـين كالمتماثلـين؛ لأنّهـما مـن حيّـز واحـد، فالعلّـةُ الموجِبـة للادغـام في المثلـين قريـبٌ منهـا في المتقاربـين, لأنّ إعـادة اللسـان إلى موضـع قريـب مـمّا رفعتَـه عنـه كإعادتـه إلى نفـس الموضـع الـذي رفعتَـه عنـه، ولذلـك، شـبّه بمَـشْي المقيَّـد «(د.ت.، ص:١٣٢/١٠).

والظاهـر أن الأسـاس في ادغـام المتقاربـين هـو «أصـل الصوتـين قبـل حصـول الإدغـام، وليـس إلى مـا يـؤول إليـه

الصوتان عند الإدغام، لأن الصوتين المتجانسين والمتقاربين يتحولان إلى متماثلين عند الإدغام»(الحمد،٢٠٠٤، ص:٢٢١) ،لذلك اشترط اللغويون لتحقيق ادغام المتقاربين قلب أحدهما إلى الآخر حتى يصح الإدغام «فإذا التقى حرفان متقاربان، أدغم الأوّل منهما في الثاني، ولا يمكن ادغامُه حتى يُقلب إلى لفظ الثاني. فعلى هذا لا يصحّ الادغام إلّا في مثلين» (ابن يعيش، د.ت.، ص:١٣٢/١٠) كما بيَّنوا أن الأقوى لا يدغم في الحرف الأضعف، والشائع في لغة العرب أن يتأثر الحرف الأول بالثاني، ويترتب عليه فناء الأول في الثاني، وقد يتأثر الثاني بالأول وهذا قليل(سيبويه، ١٩٨٢، ص: ٤٦٦/٤، الداني، ٢٠٠٣، ص: ٩٦).

أما إدغام المتجانسين فهو ما رأى فيه الحنفي» أن المقطعين المتجاورين يلفظ كلٌّ منهما بذات لفظه فإن لُفظا تِباعًا دون سَكتٍ أو فاصلٍ زمنيّ تَوهَّم السَّمع أنَّ شيئًا من الإقلاب قد عرض لأحدهما»(١٩٨٧، ص:٢٣٥)، وقد ساق بعض الأمثلة ليبين من خلالها أن ما يقع من تأثير وتأثر فيها راجع إلى الاختلاس والتخفيف، من ذلك قال الحنفي في تفسيره الصوتي للفظ (أحطت) في قوله تعالى { فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ }(النمل:٢٢). أنَّ الطاء لم تقلب إلى تاءٍ بل وقع نطقها على وجه الاختلاس والتخفيف ففقدت بذلك شيئًا من جرسها مما أدَّى إلى توهم إقلابها (أي الإدغام) إلى التاء. في حين قال الفرّاء :» والعرب إذا لقيت الطاء التاءَ، فسكنت الطاء قبلها، صيَّروا الطاء تاءً»(١٩٨٣، ص:٢٨٩/٢).

وقد ألحق بعض علماء القراءات هذه الصورة من الإدغام وأدرجوها تحت ما يسمى بالإدغام الناقص، وهو: إدراج الأول في الثاني ذاتًا لاصفة، وإدغام (أحطت) ونظائره من قبيل الناقص «(المرعشي، ٢٠٠٨، ص: ١٨٩). فالطاء من حروف الإطباق، فكُره ذهاب إطباقها بالإدغام، فأدغمت في التاء مع بقاء شائبة من الطاء كذلك(مريم، ١٩٩٣،ص: ١٤٩) .

وهذه الملاحظة عند الحنفي تنم عن معرفة دقيقة، وتفحص شامل لأصوات العربية في عملية الإدغام. لأنه «عندما يتَّصل حرفان بينهما بعض التجانس، على السامع أن يميّز بين الحرفين وهذا لا يتحقق إلا إذا بذل المتكلّم جهدًا مقصودًا في إخراج كل حرف بموجب صفاته الصوتية»(النّاصر، ٢٠٠٩، ص:٩٨).

لذلك أصاب الحنفي حين عدَّ هذه الإدغامات من الأمور الجوازية وذلك لوروده بصورة مختلفة، ومما يؤيد لنا منهجه أن العلماء اختلفوا في الحكم على إدغام الحرف في مقاربه، وهذا ما جعل د. غانم قدوري الحمد أن يقول بأنَّ «ابن الجزري لم يذكر ادغام المتقاربين، لأنه مما اختلف فيه القراء، مثل إدغام دال (قد) وذال (إذ) وتاء التأنيث الساكنة، وذلك محله كتب القراءات، لأن كتب التجويد كتب اتفاق «(٢٠٠٨، ص:٤٣٢). وكذلك نجد أن العلماء قد اختلفوا أيضًا في تسمية هذا النوع فسماه البعض بـ (الإدغام الناقص)، وبعض الآخر بـ(الإخفاء) و(الإدغام الخفي) (أمين، ٢٠٠٧، ٧٦-٧٧).

من ذلك يظهر لنا أن الحنفي ينفي تقسيم الادغام إلى المتقاربين والمتجانسين، وذلك بناءً على العلة التي تقف وراءهما، وهي الإقلاب، وهذا ما جعله يتناولهما في باب الإقلاب كما سيأتي. وإنَّ ما ذهب إليه في وصف عملية حدوث هذه الظاهرة تكاد لا تخرج عمّا ذهب إليه علماء اللغة القدامى والمحدثون، ذلك أن عملية الإقلاب تسبق الادغام، لذلك وجه الاختلاف عنده هو اختلاف في التسمية لا في أصول هذه الظاهرة، أما إنكاره هذا التقسيم فهو رفض لوقوع الإدغام في كثير من الحروف العربية، بذلك أوقع نفسه في التناقض، فيما نادى به في تفسيره لمفهوم الادغام بأنه واقع في جميع الحروف العربية ما عدا الألف ، لأن الكثير من هذه الادغامات تندرج تحت هذا التقسيم . أما تناوله له في باب الإقلاب فربما يسهل للقاريء فهم حقيقة

هـذه الظاهـرة، لكـن في الوقـت نفسـه هـو خـروج عـمًّا اتفقـت عليـه كتـب التجويـد.

المبحث الثاني

الإقلاب:

بـيَّن الحنفـي المعنـى اللغـوي للإقـلاب، فعنـده هـو قلـب الـشيء (١٩٨٧، ص:٢٤١)، فالإقـلاب مصدر(أقلب)المزيـد، وأصلـه مـن الثلاثي(قلب)الـذي يـدل عـلى معنـاه كـما يقـول ابـن فارس(٣٩٥هـ):»القـاف والـلام والبـاء: أصـلان صحيحـان، أحدهـما: يـدل عـلى خـاص شيء وشريفـه. والآخر:عـلى رد شيء مـن جهـة إلى جهـة...»(٢٠٠١، (قلـب)، ص:٨٢٨). فالإقـلاب في اللغـة : تحويـل الـشيء عـن وجهـه.

إن مصطلـح الإقـلاب مـن المصطلحـات المترادفـة عنـد علـماء العربيـة، وهـذا مـا جعـل الحنفـي يشـير إلى أنَّ هنـاك مـن يـرى أن يقـال لذلـك إبـدال لا إقـلاب، لكـن هـذه التسّـمية عنـده اصطلاحيـة لا غـير، لأن الحـروف أصـوات ثابتـة تخـرج مـن مخارجهـا المعيَّنـة، ولا يقـع لحـرف أن ينقلـب إلى حـرف آخـر.(١٩٨٧، ص:٢٤١).

اسـتعمل أبـو جعفر(٥٤٠هـ) كلا المصطلحـين في نـص واحـد، فقال:»أجمعـوا عـلى إبـدال النـون السـاكنة والتنويـن ميـمًا قبـل البـاء، سـواء كانـت النـون مـن كلمـة أو كلمتـين، أو سـكونها خلقـة أو لجـازم نحـو{ أَنبِئْهُـم }(البقـرة ٣٣) قلبًـا صحيحًـا مـن غـير إدغـام ولا إخفـاء»(١٩٨٣، ص:٢٥٧/١).

والـترادف بـين المصطلحـين راجـع إلى الاتفـاق بينهـما في المعنـى اللغـوي العـام وهـو قيـام الـشي مقـام الـشيء الذاهب(الهدهـد، ٢٠٠٨، ص: ٦٨٣\٢).

ومـا تجـدر الإشـارة إليـه أن الحنفـي فـرَّق بـين الابـدال المـرادف للاقـلاب في مباحـث علـم التجويـد والابـدال اللغـوي فعـدَّ الثـاني مـن خـارج مباحـث الصّوتيـات نحـو :القِسْـطاس والقُسـطان، صمـدت وعمـدت، وإنمـا عنـده هـي مـن مباحـث الوضـع اللغـوي.(١٩٨٧، ص:٢٥٤)، وكذلـك يقـول أنَّ الاقلابـات اللغويـة المقـررة في علـم الـصَّرف مثـل قلـب تـاء الزيـادة إلى طـاء في (مضطـرب) التـي أصلهـا (مضـترب)وفي (مُطّـرد) التـي أصلها(مُطترد)أمرهـا غـير الاقلابـات الصَّوتيـة التـي نقصدهـا في قواعـد التجويد(الحنفـي، ١٩٨٧، ص:٢٥٣).

ولعـل السـبب وراء ذلـك راجـع إلى أنه»يمكـن لمفـردات اللغـة بتمامهـا أن تتغـير، دون أن يغـير ذلـك مـن بنيـة اللغـة الصوتيـة أو النحويـة تغيـيرًا محسوسًـا»(فندريـس،٢٠١٤، ص:٣٧٧) .كـما أن الصوتيـات لا تسـتطع وحدهـا تفسـير كل شيء (فندريـس، ٢٠١٤، ص:٢٧٣).

وكذلـك «أنَّ كثـيرًا مـن أمثلـة الإبـدال لا ترجـع العلـة الصوتيـة فيهـا إلى ظاهـرة التقريـب ...بـل تعـود إلى أسـباب أخـرى أشـار إليهـا عـدد مـن الباحثـين كالمغايـرة، والتصحيـف، والقيـاس الخطـأ وعيـوب النطـق «(عنـاد، ٢٠١١، ص: ٣٢٦).

ولكـن مـا تجـدر الإشـارة إليـه أنَّ:» الإبـدال أيًـا كان نوعـه، صرفيًـا أم لغويًـا فإنَّـه نجـد فيـه التعامـل الصوتي(التماثـل) تأثـرًا وتأثـيرًا، بـين الأصـوات المتجـاورة، أو بـين الصوتـين المبدلـين، فهـو عمليـة تأثريـة صوتيـة، لا يمكـن الانفـلات منـه في مرحلـة مـن المراحـل، سـواء أكانـت متجهًـا نحـو الأسـهل صوتيًـا أم الأصعـب» (أمـين، ٢٠٠٧،ص:٣١).

كـما أن العلـة وراء حـدوث الإبـدال تعـود إلى تقـارب المخـرج أو الصفة،كـما بـيّن ذلـك ابـن جنـي فيـما نقلـه عـن أبي عـلي قائـلًا :» إنَّ أصـل القلـب في الحـروف إنمـا هـو فيـما تقـارب منهـا، وذلـك الـدال والطـاء والتاء...وغـير ذلـك مـا تدانـت مخارجـه»(٢٠٠٨، ص:١٨٨/١).

عـلى هـذا نوثـر اسـتعمال مصطلـح الإقـلاب في تحليلنـا لأحـكام التجويـد بـدلًا مـن الإبـدال لدلالـة شـمولية الثـاني عـلى كل التغـيرات الصوتيـة وغـير الصوتيـة في مفـردات اللغة.

وقـد عـرَّف الحنفـي الإقـلاب بأنَّـه :»اسـتبدال حـرف بحـرف مـما يقـضي بوقوعـه في الألفـاظ قانـون الأصـوات»(١٩٨٧، ص:٤٦٦). والـذي يبـدو في هـذا التعريـف أنـه لا يتصـور أن عمليـة الإقـلاب عمليـة إراديـة يقـوم بهـا صاحـب اللغـة متـى شـاء، وإنمـا اشـترط أن يحكمهـا قانـون صـوتي. كـما أنـه باسـتعماله كلمـة (الألفـاظ) أغنانـا أنـه لم يختـص الإقـلاب بحالـة معينـة.

ثُـمَّ خالـف الحنفـي علـماء اللغـة والتجويـد في تحديـد دائـرة الإقـلاب. فقـد شـاع عندهـم أن الإقـلاب هـو أحـد أحـكام النـون السـاكنة والتنويـن، إذ قـال سـيبويه: «وتقلـب النـون مـع البـاء ميـمًا»(١٩٨٢،ص: ٤٥٣\٤) وأوضـح ابـن الجزري(٨٣٣هـ) ذلـك بقوله:»وأمـا القلـب، فهـو عبـارة عـن: الحكـم المشـهور مـن الأحـكام الأربعـة المختصـة بالنـون السـاكنة والتنويـن. وهـو إبدالهـما عنـد لقائهـما البـاء ميـمًا خاصـة، تعويضًـا صحيحًـا، لا يبقـى للنـون والتنويـن أثـرًا... «(١٩٨٥، ص: ٥٦).

وقـال الدَّاني:»والحـال الثالثـة أن يقلبـا ميـمًا مـن غـير إدغـام، وإذا لقيـا البـاء، نحـو{ أَن بُـورِكَ }(النمـل:٨)و{ أَنبِئْهُـم }(البقـرة:٣٣)و{ جُـدَدٌ بِيـضٌ }(فاطـر:٢٧)و{ ظُلُمَـٰتٌ بَعْضُهَـا }(النور:٤٠)ومـا أشـبهه. وإنمـا قلبـا ميـمًا عندهـا خاصـة مـن أجـل مؤاخـاة الميـم للنـون في الغنـة ومشـاركتها للبـاء في المخـرج فقلبـا ميـمًا مـن أجـل ذلـك»(٢٠٠٠، ص:٢٢).

بينما الحنفي أوسع دائرة الاقلاب إلى عشرة أنواع فهي عنده(١٩٨٧، ص:٤٦٦-٤٦٩) :

قلـب لام التعريـف إلى حـرف شـمسيّ مـن جنـس الحـرف الشـمسيّ الـذي تـدل عليـه قصـدَ التعريف.مثـل :{ وَالتِّـينِ وَالزَّيْتُـونِ }(التـين :١)

قلـب النـون السَّـاكنة إلى راء عنـد اتّصالهـا بهـا مثـل قولـه تعـالى:{ فَمَـنْ رَبُّكُـمَا يَـا مُـوسَىٰ }(طـه:٤٩) فإنهـا تلفـظ (مَـرْ رّبُّكـما).

قلـب النّـون السّـاكنة إلى لام عنـد اتّصالهـا بهـذا الحـرف مثـل قولـه تعـالى{ فَمَـن لَّـمْ يَجِـدْ فَصِيَـامُ شَـهْرَيْنِ مُتَتَابِعَـيْنِ} (المجادلة:٤)فـإنَّ ذلـك يقرأ(فَمَـلْ لَـمْ يَجِد).

قلـب النُّـون السـاكنة إلى واو عنـد اتصالهـا بهـا في مقطـع منفصـل مثـل { إِلَّا مَـن وَجَدْنَـا }(يوسـف:٧٩) فإنَّهـا تُلفـظ (مَـوْ وَجَدْنـا).

قلـب النـون السـاكنة إلى يـاء عنـد اتصالهـا بهـا في مقطـع منفصـل مثـل: { وَمَـن يُهَاجِـرْ }(النسـاء: ١٠٠) فإنَّهـا تلفـظ (وَ مَـيْ يُهاجـر)

قلـب النـون السـاكنة إلى ميـم عنـد ملاقاتهـا إيّـاه مثـل:{ مِّـن مَّـالِ اللَّـهِ }(النـور:٣٣)إذ تُلفظ(مِـمْ مـال اللـه)وفي حالـة التنويـن مثـل {قِطَـعٌ مُّتَجَـاوِرَاتٌ }(الرعـد:٤) فإنهـا تلفظ(قِطَعُـمْ مُتجـاورات).

قلـب النـون السـاكنة إلى ميـم عنـد التقائهـا بالبـاء ومـن ذلـك في كلمـة واحـدة (أنْبيـاء، و أنْبـاء) وفي كلمتـين (مـنْ بعـد) فـإنَّ النُّـن في هـذه الألفـاظ تلفظ(أمْبيـاء وأمْبـاء ومِـمْ بعـد)

قلب النون الساكنة إلى راء إذا التقت بها مثل { وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا }(طه:١١٤) إذ تُلفظ : (وقُرْرَبّ زدنْي عِلمًا).

قلب التّاء المربوطة الى هاء عند الوقف.

قلب الباء السّاكنة إلى ميم مثل { يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا }(هود:٤٢) فتلفظ (اركَمْ مَعَنا)

ومـن ثَـمَّ أورد الحنفـي جملـة مـن كلام المصنفـين في علـم التجويـد الذيـن ذهبـوا إلى حـصر دائـرة الاقـلاب في حـرف

الباء، فعنده هذا وهم وقعوا فيه، لذلك بحث في أعمال المؤلفين ليجد ما يدعم رأيه فوجد أن المؤرخ الشيخ عبدالله الجّراري قال في رسالته بعد مناقشته حالات الاقلاب «إذا علمنا هذا فالقلب لا يختصّ بحرف الباء»(الحنفي، ١٩٨٧، ص:٢٥٥).وكذلك الدكتور التّهامي نقرة في رسالته إلى جلال الحنفي أكد فيه أن» الادغام لا يكون إلاَّ بعد القلب فالنّون تقلب ياءاً في قوله تعالى {فمن يعمل}ولذلك فلا معنى لقول من يقول حرف القلب واحد وهو الباء مع النّون»(الحنفي، ١٩٨٧، ص:٢٤٥). ، ومن القدامى كان ابن خالويه(٣٧٠هـ) قد تَكَلَّم على الرّاء في الرَّحْمن الرَّحيم فقال:» وشَدَّدْت الرّاء فيهما لأنَّك قَلَبْتَ اللام راءً وأَدْغَمتَ الرَّاء في الرَّاء»(١٩٨٥، ص: ١٢).

ولكن هذه النصوص إن دلَّت على شيء فإنما تدل على تفسير حدوث عملية الإقلاب قبل الإدغام؛ أي لا يحدث الإدغام إلا بعد الإقلاب ، كما صرَّح بذلك الحنفي قائلًا :» إنَّ الإقلاب من بعض السُّبل الموصلة إلى الادغام» (الحنفي، ١٩٨٧، ص:٢٥٥). وهنا تقع الحجة ضد الحنفي، إذ أنه اشترط لحدوث الإدغام أن تسبقه عملية الإقلاب، على هذا لا نعلم لماذا لم يتناولها في باب الإدغام. لذلك يجد الدارس غموضًا في تفسيره لهذه الظاهرة. وهنا ابتعد الحنفي عن المنهج الذي سار عليه وهو تيسير دراسة هذه الظواهر على الدارسين. وكان من الأحرى به أن يحسم رأيه، فإنه إن كان يرى أن ما يحدث هو عملية الإقلاب، فلا داعي لذكر الإدغام هنا، وإلا اضطرب رأيه في الموضوع.

لذلك تناوله للعمليات الصوتية التي تطرأ على النّون عند ملاقاتها حروف(يرملون) في باب الإقلاب فيه نظر؛ ذلك أن هناك اختلافًا بين عمليتي الإدغام والإقلاب ، ففي الحالة الأولى في النطق بالنّون عند تحولها إلى مخرج آخر في الإدغام يصاحبها التشديد ، بينما لا تشديد في عملية إقلاب النون الساكنة إلى الميم عند اتصالها بالباء. وكذلك هناك تشابه بين عمليتي الإقلاب والإخفاء ؛ إذ أنَّه من الناحية الصوتية أن ما يحدث للنون الساكنة عند التقائها بالباء في عملية الإقلاب هو ذاته ما يحدث للنون في عملية الإخفاء، إذ يتغير مخرجها الفموي وهو اللثة إلى مخرج الباء وهو الشفة، فتصادف في الحالة الأولى صوت الميم الذي من مخرجه بعد التحول، بينما في الثاني لا تصادف صوتًا من مخرجه فسميت الحالة الأولى إقلابًا و الثانية إخفاء(د.محمود، ٢٠١٨، ص:٩٠)

.

كما أجْلَت دراسة مَخْبَرِيَّة حديثة حقيقة عدم قلْب صوت النُّون السَّاكنة مِيمًا لدى تقدُّمه على صوت الباء، إذ أنَّ :» النُّون هذه ليست هى النُّون التى يتحقَّق لها المَخْرَج, وإنَّما هى نُون الغُنَّة التى حُذِف مَخْرَجها, وبقيت صِفَتها الجوهريَّة المُشْخِصَة لها, وكذلك الميم المَقْلُوبة - وإنْ سلَّمْنا بذلك- ليست هى الميم التى لا بُدَّ أنْ يتحقَّق لها المَخْرَج والصِّفة, وإنَّما هى الصِّفة الباقية من غُنَّة النُّون التى فَقَدَت المَخْرَج, وبقيت غُنَّة عالقة بالخَيشوم, أعْقَبها إطباق للشَّفتين ليتَسَنَّى النُّطْق بحَرْف الباء, «(محمد، ٢٠١٧،ص: ٢٧٤).

تأسيسًا على هذا التفسير، يمكن أن نقول بإن ما يحدث في نطق النون هو نطقها على صور مختلفة تستعاض بها صوتيًا، وهذا الصوت هو من ألوفونات النُّون، أي أن الميم هنا أحد الصور النطقية للنون.

وكذلك رأى د.غانم قدوري الحمد أن يسمي ما يترتب على قلب النون ميمًا قبل الباء وقوع الميم ساكنة قبل الباء إخفاء، هذا ما استنبطه من قول عبدالوهاب القرطبي ما نصه:» ثم بعد قلبها ميماً يتحول اللفظ إلى الإخفاء؛ لأن حظ الميم إذا سكنت أمام الباء الإخفاء، وغنة النون والميم عند الباء تشتبه فلا يوجد في اللفظ فرقٌ بين قوله { أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ ۗ} (الرعد:٣٣)و { أَم بِهِ جِنَّةٌ }(سبأ:٨) وبين { أَنبَّتَكُم }(نوح:١٧)و{ أَنبِئُونِي

}(البقرة:٣١)، سواء كان ما قبل الباء نوناً أو ميماً، لا فرق بينهما، كله في اللفظ سواء»(الحمد، ٢٠٠٧، ص: ٣٧٥ ، والقرطبي ، ٢٠٠٠، ص: ١٧٥)، فبعد عرضه للناحية الصوتية لأحكام النون الساكنة توصل إلى نتيجة مفهومها أن أحكامها بالنظر إلى المستوى الصوتي ثلاثة(الإظهار والإخفاء والادغام)، ولكن الناحية التعليمية تتطلب جعلها أربعة بإضافة حكم الاقلاب تسهيلًا للمتعلمين(الحمد، ٢٠٠٧،ص: ٣٨٧).

لذلك يمكن أن نقول بأن منهج الحنفي في ظاهرة الاقلاب يشمل كلا المستويين ؛ إذ تناولها على أساس صوتي، فتبين له أن الاقلاب لا ينحصر في حرف الباء فحسب، بل يعرض لكثير من الحروف في سياقاتها الصوتية، أما الناحية التعليمية فرأى فيها أن دراسة هذه العمليات الصوتية في باب الاقلاب تسهل فهمها على أساس علمي. وهذه النظرة تجعلنا أن نصرح بأن وجه الاختلاف بين الحنفي وعلماء التجويد في حصر أحكام النون الساكنة تجاوز التقسيم الشكلي إلى اختلاف في حقيقة وأصول فهم الظواهر الصوتية.

ونستنتج من كل ذلك أن وصفه الناحية الصوتية لظاهرة الإقلاب تجانب الصواب، أي أن ما يحدث هو عملية إقلاب فعلًا، لكن دراسته للنون الساكنة والتنوين عند ملاقاتهما بأحرف (يرملون) في باب الاقلاب قد تؤدي إلى خلط واضطراب ما تآلف عليه الدارسون منذ سنين.

المبحث الثالث

الإخفاء (الإشمام):

وقف الحنفي عند هذين المصطلحين، فكان له نظر في مفهومهما وبيان سماتهما الصوتية، فخالف فيهما مذهب علماء التجويد، وآثر أن يصطلح على ما هو الاخفاء عندهم الإشمام، أما مفهوم الإخفاء عنده فيأخذ حالة صوتية أخرى غير ما تعارف عليه كتب التجويد والقراءات، لذلك الموضوع بحاجة إلى إعادة النظر، ذلك أنه شابَه كثير من الاضطراب والخلل في الاستعمال بسبب سوء الفهم عن السمات الصوتية التي يتميز بها كل مصطلح.

لم يبين الحنفي المعنى اللغوي للإخفاء الذي أصله من (خفي) الثلاثي ويدل على أصل معناه ف»الخاء والفاء والياء، أصلان متباينان متضادان. فالأول: السَّتر. والثاني الإظهار، فالأول: خفي الشيء يخفَى، وأخفيته، وهو في خفية وخفاء، إذا سترته...والأصل الآخر: خفا البرق خفوا إذا لمع» (ابن فارس، ٢٠٠١، ص:٣٠٦).

أما الإخفاء اصطلاحاً: فقد ذكر الحنفي أن للإخفاء تعاريف شتى عند علماء التجويد، فبعدما أورد مجموعة منها وناقشها توصل إلى أن «بعضها أشدَّ إيغالًا في الغموض وبعضها أضعف إيغالًا فيه»(١٩٨٧، ص:١٦٢)، ثم بعد ما أوضح التداخل فيها آثر أن يطلق عليه مصطلح (الإشمام). لذلك نحاول مناقشة ما ذهب إليه الحنفي حتى يتسنى لنا الوقوف على حقيقة ما دعاه في هذه الظاهرة الصوتية.

إنَّ الإخفاء من مصطلحات التجويد القرآني التي لا يمكن ضبطها- إلا بالمشافهة- كما يفهم من قول ابن جني ما نصُّه :»وإنما كثر الاخفاء عن العرب، لأنه وسيطة بين الإدغام والإظهار فارتكبوه لاعتداله» (١٩٥٤، ص: ١٩١/٢). لذلك عُرف بأنه: حال بين الإظهار والإدغام(الجزري، د.ت.، ص:٢٢٧/٢).

ولعَّل عدم تحديد معنى واضح ودقيق لمفهوم الإخفاء جعل الحنفي يصرح بأن الذين ذهبوا إلى تعريفه بهذا المفهوم، أنهم تركوا من يحاول فهم ذلك ملزمًا أن يعرف معنى الإظهار، فإذا عرفه ذهب ليعرف معنى الإدغام ليرى أن الإخفاء بينهما، وهذه البينيَّة ليست ما تبنى عليها التعاريف العلميَّة (١٩٨٧، ص: ١٦٢). إذًا

لابـد مـن توضيـح كل مـا يـؤدي بالتعريـف إلى غمـوض و التبـاس.

ومـما يؤكـد مـا ذهـب إليـه الحنفـي في أن المصطلـح لم يسـتقر عـلى معنـى دقيـق، أن العلـماء دار بينهـم نقـاش طويـل للوصـول إلى معنـاه الحقيقـي، حسـبنا هنـا أن نشـير إلى أنَّ أبـا جعفـر انتقـد تعريـف الأهـوازي للإخفـاء ووصَفَـه بأنـه كان واهـماً فيـما ذهـب إليـه مـن أنَّ المخفـيَّ: بـين المشـدد والمخفـف، كـما أنـه بـين إظهـار وإدغـام (الهدهـد، ٢٠٠٨، ٦٧٤/٢).

ثـم حـاول بعـض العلـماء توضيـح هـذه البينيَّـة بـأن لابـد معهـا الغنـة، أو عندهـم الإخفـاء عبـارة عـن النـون السـاكنة أو التنويـن عنـد حروفـه بغنـة ألطـف مـن غنَّـة الإدغـام، إذ قـال مـكي نصر:»الإخفـاء ...النطـق بحـرف سـاكن عـار مـن التشـديد عـلى صفـة بـين الإظهـار والإدغـام مـع بقـاء الغنـة في الحـرف الأول»(٢٠١١، ص: ١٦٤).

لكـن الحنفـي وصـف محاولتهـم بأنهـا «قـاصرة لتوضيـح مدلـول هـذا المصطلـح ويظـلَّ الغمـوض كـما هـو». (١٩٨٧،ص: ١٦٣).

لذلـك صـاغ عبارتهـم مـن جديـد قائـلاً:» لـو أنَّهـم قالـوا : إنَّ الإخفـاء حالـة بـين الإظهـار والإقـلاب لـكان لذلـك تحديـد مقبول»(الحنفـي، ١٩٨٧، ص: ١٨٤)، وأوضـح تعريفـه بقولـه: أنَّ مـا يسـمع في حـال نطقنـا بالنـون في مثـل (مـنْ ذَهـب) إمّـا أن تكـون مظهـرة أو تكـون مقلبـة إلى ذال لكـن الخاصيـة الصوتيـة في النـون عنـد التقائـه بحـرف الـذال اشـماميَّة اشرابيَّـة لا اظهاريـة ولا اقلابية(الحنفـي، ١٩٨٧، ص:١٨٤).

لـو أنعمنـا النظـر في هـذا التعريـف لوجدنـا أنَّـه لا يختلـف عـمَّا ذهـب إليـه غـيره، إلَّا أن الحنفـي رأى أن مـا يحـدث في عمليـة تأثـر الصوتـين المختلفـين ليـس الادغـام بـين حرفـين مختلفـين، بـل هـو اقـلاب كـما أوضحنـاه في موضـوع الادغـام. لذلـك قـرَّر أن يسـتعمل لفـظ(الاقـلاب) في التعريـف. أمـا اسـتعماله مصطلـح الاشـمام عـلى مـا يسـمونه العلـماء الاخفـاء فإنَّـه راجـع إلى مجموعـة أسـس ترتبـط بالنـون المخفـاة منهـا مخرجهـا وصفاتهـا وكيفيـة أدائهـا في سـياقاتها الصوتيـة المختلفـة. هـذا مـا نتلمسـها فيـما ذهـب إليـه الحنفـي لتوضيـح اقتراحـه سنناقشـه.

مـا يتعلـق بمخـرج النـون السـاكنة والتنويـن، ذهـب بعـض علـماء التجويـد إلى أن مخرجهـما مـع حـروف الإخفـاء مـن الخيشـوم فقـط، ولاحظـوا لهـما معهـن في الفـم، لأنـه لا عمـل للّسـان فيهـما كعملـه مـع مـا يظهـران عنـده أو يدغـمان فيـه بغُنَّة(الـدَّاني، ٢٠٠٠، ص: ١٠٠، الجـزري، د.ت، ص:٢٧/٢، القيـسي، ١٩٩٦، ص:٢٤١).

بينـما أوضـح بعـض آخـر الكيفيـة في نطـق الإخفـاء بقولهـم: «... ومعنـى خفائهـا مـا قدَّمنـاه مـن اتصـال النـون بمخـارج هـذه الحـروف (حـروف الفـم) واسـتتارها بهـا، وزوالهـا عـن طـرف اللسـان، وخـروج الصـوت مـن الأنـف مـن غـير معالجـة بالفـم» (القرطبـي، ٢٠٠٠، ص: ١٧٠).أي خـروج الصـوت عنـد مخـرج الحـرف الـذي يليـه. وهـذه الحـروف جمعهـا الجَمَزوريّ(١١٩٨هـ) في في أوائـل كلـمات البيـت الآتي(الجريـسي، ٢٠١١، ص:١٦٤):

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمْ طيّبًا زِدْ في تُقًى ضَع ظالمًا

وقـد بـين الحنفـي أن العلـماء أخطـأوا في وصفهـم النُّـون بهـذه الكيفيـة، لأنهـم حكمـوا عليهـا بعزلهـا عـن مخرجهـا، كـما قالـوا بوجـوب تجـافي اللسـان عـن مخرجهـا، ففـي رأيـه لـو علـم العلـماء « أنَّ النـون تميـل ميـلًا ظاهـرًا إلى الحـرف الـذي يليهـا فتشـمُّ منـه شـيئًا لصحَّحـوا مواصفـات هـذه النُّـون، ولأدى ذلـك إلى معرفـة القـاريء بالهيـأة التـي يجـب أن يكـون عليهـا جهـازه الصَّـوتي للنُّطـق فيتحـاشى ضَـلال التَّعبـير الـذي يقـع فيـه غالبيَّـة المُجوّديـن والقُّـراء «(١٩٨٧، ص:١٦٤) .

لذلـك خالفهـم في الواقـع الصـوتي للنُّـون فعنـده لا تنعـدم كـما زعـم بعضهـم، وكذلـك أن للّسـان دورًا ظاهـرًا في كثـير

مـن جوانـب الموضـوع، والجهـاز الفمـوي يـؤدي دورًا ملحوظًـا عنـد التقـاء النُّـون بحـروف الإشـمام التـي عندهـم الإخفـاء إلا عنـد اتصالهـا بالـكاف والقـاف وحـروف أخـرى معدودة(الحنفـي، ١٩٨٧، ص:١٦٥). لذلـك لا يمكـن عـزل اللسـان عـن أي دور صـوتي في هـذا الأمـر، واستشـهد لذلـك بقولـه :» لـو نطقنـا بالنـون السـاكنة المتلـوَّة بالـذَّال نرانـا وضعنـا اللّسـان عنـد حفـافي مخـرج الـذَال مبتعديـن بالنـون عـن أصـل مخرجهـا فـإذا مـرَّ بهـا الهـواء الجـوفيّ وجدنـا صـوت النّـون السّـاكنة مُشرَبًـا رائحـة الـذَال ، وذاك هـو الإخفـاء عـلى جـدّ تسـميتهم وهـو عندنـا الاشـمام»(الحنفي، ١٩٨٧، ص:١٦٥) والحقيقـة الثابتـة عنـده أنَّ النُّـون تنطبـع عنـد كل حـرف مـن حروفـه بطابـع ذلـك الحـرف، وهـذا مـا جعلـه يُرجّـح مصطلـح الاشـمام عـلى مصطلـح الاخفـاء (الحنفـي، ١٩٨٧، ص: ١٦٦).

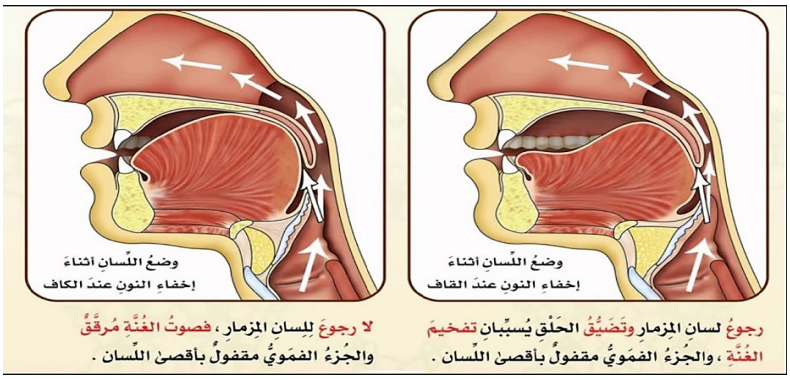

شكل اللسان في أثناء النطق بالنون المخفاة عند القاف والكاف

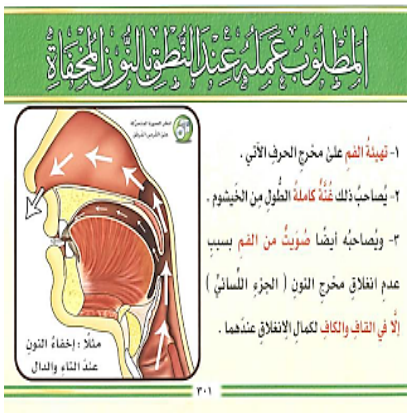

شكل اللّسان في أثناء النطق بالنون المخفاة عند التاء والدال

ومـما يؤيـد نظـرة الحنفـي في عمـل اللسـان في حـال الإخفـاء، أشـار غـير واحـد مـن علـماء الصّوتيّـات المحدثـين إلى أن النـون تميـل إلى مخـرج الصـوت المجـاور لهـا(عمـر، ١٩٧٦، ص: ٣٣٤)، كـما ذهـب د.عبدالنـاصر إلى القـول بـأنَّ :»النـون الخفيـة تخـرج مـن طـرف اللسـان إذا التقـت بحـروف طـرف اللسـان، وهـو مخرجهـا الأصـلي في الفـم، فـإن الفـم يبقـى مشـتركا مـع الأنـف في إخراجهـا، لأن مخرجهـا الجديـد يبقـى في الفـم، وهـو مخـرج الحـرف الـذي تسـتتر بـه(٢٠١٢، ص:٨٥)، وكذلـك ذكـر د.محمـود عبيـدات أن» مخـرج النـون الفمـوي لا يـزول وإنمـا يتغـير بتحولـه إلى مخـرج الصـوت المجـاور لـه، ولذلـك فـإن اللسـان يبقـى لـه عملـه مـع النـون، ولكـن يتحـول مـن أن يتصـل باللثـة - التـي هـي المخـرج الفمـوي للنـون- إلى اتصالـه اتصـالا جزئيـا بمـكان نطـق الصـوت الـذي يليهـا»(٢٠١٨، ص:٨٩). وقـد أدرك سـيبويه مـن قبلهـم مخـرج النـون الخفيـة بقولـه:»...لأنهـا لا تحـوّل حتـى تصـير مـن مخـرج الحـرف الـذي

بعدها «(١٩٨٢، ص:٤/٤١٥).

نتيجة لذلك تكون لدينا مجموعة من النونات تتفاوت فيها درجات صوتية تبعًا لتغيراتها الصوتية التي تحدث نتيجة تأثرها بصفات الحروف التي تليها. وهذه التغيرات للنون هي سمات ألوفونية لها.

ولعل ما يؤيد هذا التفسير أنَّ د. تمام حسان ذكر أكثر من مخرج للنُّون الخفية في حال تأثر صوتها بصوت حرف آخر، فأوضَّح اختلاف مخرج النون باختلاف مخرج الصوت الذي يليه ، ومن مخارجها ؛ النون الأسنانية عندما تقع قبل الذال والثاء أو الظاء، والنون الأسنانية اللثوية عندما تقع قبل الدال والضاء والتاء، والنون الغارية عندما تقع قبل الشين والجيم والياء، والنون الطبقية الأنفية التي تكون قبل الكاف، والنون اللهويَّة التي تأتي قبل القاف (١٩٥٥، ص: ١٠٦-١٠٧).

كل ذلك يثبت لنا أن الحنفي أصاب حين بيَّن أنَّ النون الساكنة تأخذ من رائحة الحرف الاشمامي الذي يأتي بعدها وتتأثر بها، ويسمع شميمًا ملحوظًا في حال النطق بها(١٩٨٧، ص: ١٦١).

لذلك بعدما أدرك الحنفي أن تسمية الإخفاء على هذه العملية كانت سببًا لفشل المقرئين في نطق النّون الساكنة نطقًا سليمًا وطبيعيًا، قرَّر أنَّ استعمال مصطلح الاخفاء هنا كان اعتباطيا وجديرًا بالتصحيح، لأنه لا وجود لعملية الإخفاء في هذه الحال عنده، لذلك اقترح تسميتها بالاشمام (الحنفي، ١٩٨٧، ص: ١٦١، ٤٥٨).

في هذا السياق رأى د.عبدالرحمن الحاج صالح أن واقع النون الساكنة أنها لا تشم رائحة الحروف التي تليها، وإنما عنده بالعكس أي في نحو:(مَن ذا)فإن الذال هي التي تشرب غنة، وأن غنة النون تحدث-عند الإخفاء-متأثرًا بصوت الحركة التي قبل النون.(٢٠١٢، ص:١/٣٥٨-٣٥٩)،ولكن الدراسات الصوتية الحديثة تؤكد أن الإخفاء هو «أن يتداخل نطق النون مع نطق الصامت الذي يليها فتتأثر، وتؤثر فيه أيضًا، وهذا النوع من التداخل أو تبادل التأثر والتأثير يعرف عند علماء الأصوات بالمشاركة النطقية co-articulation، وفي هذا النوع من المشاركة النطقية تستعد أعضاء لنطق الصوت التالي، وهي تصدر الصوت الأول فيتخذ الصوت الأول تشكيلًا يتكيف مع هذا النوع من المشاركة التي تتكيف بدورها مع انتظام الصوت في سلسلة الأصوات التي تتكون منها الكلمة، وبالتالي يتأثر الصوت الثاني بهذه العملية حيث تعمل أعضاء النطق بدورها على دمجه في الصوت الأول «(الضالع، ٢٠٠٢، ص:١٦). لذلك فالأمر ليس كما زعم د.عبدالرحمن صالح، أي أن العملية تبدأ من الصوت الأول الذي هو صوت النون، ويشكل صياغة منسجة مع الصوت الثاني الذي هو الصوت الذي يليه.

وإن هذا الاقتراح أدى بالحنفي أن يعرضه على أهل العلم فتلقى قبولًا من مجموعة من علماء اللغة والصوتيات، ففي رسالة كتب د.أدور يوخنا للحنفي بيَّن أن استعماله لمصطلح الاشمام ولاسيما في (مَنْ ذا) استعمال دقيق(الحنفي، ١٩٨٧، ص: ١٨٥)، كما أيده د.أحمد مختار عمر في رسالة له ما نصُّه»التَّسمية المقترحة معقولة وهي تعطي المصطلح نوعًا من الوضوح لا يتحقق بمصطلح الإخفاء»(الحنفي، ١٩٨٧، ص: ١٨٩)، وكذلك قال د. إبراهيم السّامرائي:»وأنّا أؤيد ملاحظتكم في الاشمام-وفقكم الله-ذلك لأن مصطلح الإخفاء غامض لا يترجم الحقيقة الصوتية»(الحنفي، ١٩٨٧، ص:١٨٩).

أمّا د.عبدالمنعم الناصر، فعلى الرغم من أنه ذهب إلى الرأي نفسه قائلاً :»أن هناك جانب من الصواب في رأي الحنفي، وأن وصف العملية بالإشمام أقرب لغويًا من حقيقة ما يحدث، باعتبار أن اكتساب حرف صفة من حرف آخر كأن شم شيئًا من رائحته»(٢٠١٢، ص:٨١)إلّا أنَّه رأى أن هذه الخطوة لا تكون ناجحة وأرجع

ذلك إلى سببين: الأول: أن سيبويه استعمل مصطلح الاشمام ويريد به شيئًا آخر ، والثاني: عدم احتمال موافقة جمهور القراء على ذلك(٢٠١٢، ص:٨١).

وهذا ما دفعه إلى اتهام الحنفي بعدم الأمانة العلمية ذلك أنَّه لم يذكر اسم سيبويه(الناصر، ٢٠٠٩، ص:٨٦)، وقد قال سيبويه في تحديد مفهوم مصطلح الاشمام بأنه خاص بحركة الضَّمَّة فقط، ما نصُّه:» وإنما كان ذا في الرفع؛ لأن الضمة من الواو، فأنت تقدر أن تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك؛ لأن ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسدك، وإشمامك في الرفع للرؤية وليس بصوتٍ للأذن؛ ألا ترى أنك لو قلت: هذا مَعْن، فأشممت كانت عند الأعمى بمنزلتها إذا لم تشمم، فأنت قد تقدر على أن تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت ثم تضم شفتيك، ولا تقدر على أن تفعل ذلك ثم تحرك موضع الألف والياء.»(١٩٨٢، ص:١٧١/٤).

، ولكن ما فات د. عبدالمنعم الناصر أن الحنفي ذكر في غير موضع من كتابه أنَّ الاشمام يأتي بمعانٍ شتى قائلاً :» وممن أولع باستعماله-الإشمام- ابن جني...فلقد استعمله في أكثر من معنى منها أنَّه يتعلَّق بالحركات بحيث تُشَمُّ حركةُ الفتحة حركة الضَّمَّة مثل (قالَ)وهو يشير بذلك إلى حالة التّفخيم التي تعلق بالقاف المقترنة بألف المدّ فإنَّها يمال بها عند التفخيم إلى ما يُشبه الضَّمّ، والمعنى الآخر الذي استعمله بكثرة هو ما يكون في الحروف حين تُشِمُّ حرفًا رائحة حرف آخر. فإنَّه قال: (وإنما تقلب الصَّاد زايًا أو تُشَمُّ رائحتها إذا وقعت قبل الدال)»(١٩٨٧، ص:١٦٦-١٦٧، وابن جني،٢٠١٨، ٧٣).

وكل هذه النصوص تدل على دراية الحنفي بمفهوم هذا المصطلح وما يدل عليه، كما ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ بيَّن أنَّ هذا المصطلح أطلق على مسائل أخرى منها الموسيقية وغيرها، كما وجد ذلك عند ابن طحّان.(١٩٨٧، ص:١٦٧).

بذلك يظهر أن الحنفي لم ينسب إلى نفسه أنه أول من استعمل هذا المصطلح، كما لم يزعم أنه ابتكره، لكن الحقيقة هي أنه كان أول من استعمل اللفظ بهذا المفهوم، ولم يسبقه أحد.

لذلك مع أنَّنا نرى أن من باب التيسير أن يبقى مصطلح الاخفاء دون استبداله بالإشمام، ذلك أن المصطلح استعمل وثبت مدلوله في علوم القراءة، إلا أننا نؤيده في أن الواقع الصوتي للنّون الساكنة عند اتصالها بحروف الإخفاء أقرب من مصطلح الإشمام و يتفق مع ما أثبته الحنفي من أنّ مخرجها تقترب من مخرج الحرف الذي يليها وتشم رائحتها.كما يتفق هذا التحليل مع ما أثبتته الدراسات الصوتية الحديثة.

وكذلك نرى أن هذا الاقتراح يبقى في الجانب النظري ومن الصعب تطبيقه لأن المصطلحات العلمية تتسم بشيئ من الثبات من خلال الاستعمال المستمر، ولكن في الوقت نفسه نرفض اتهامه بعدم الأمانة العلمية، لأن المتتبع في آرائه يجد أنه كان أمينًا في نقله وفيما تبناه من نظريات وأفكار.

مراتب الإخفاء (الإشمام):

تختلف درجات التماثل الصوتي في إخفاء النون الساكنة مع حروف الإخفاء نظرًا لما يحدث من عملية التأثير والتأثر بين أصوات هذه الحروف مع النون. لذلك أطال الحنفي النظر في الواقع الصوتي للإخفاء، فأسلمه ذلك إلى وضعه في ثلاث مراتب، خالف فيها غيره(الحنفي، ١٩٨٧، ص:٤٥٨-٤٥٩) .

يقول الشيخ مكي نصر :» واعلم أن الإخفاء يكون تارة إلى الإظهار أقرب، وتارة إلى الإدغام أقرب وذلك حسب

بُعْـد الحـرف منهـما (أي مـن النـون والتنوين) وقربـه»(٢٠١١، ص: ١٦٦). فـ»أقربهـا مخرجًـا إلى النـون ثـلاث، الطـاء والدال-المهملتـان، والتـاء المثنـاة الفوقيـة، وأبعدهـا: القـاف والـكاف، والبواقي متوسـطة مـن القـرب والبعد»(المرعشي، ٢٠٠٨، ص:٢٠٤).لذلـك صرَّح الـدَّاني بـأن :»إخفاؤهـما عـلى قـدر قربهـما وبعدهـما، فـما قربـا منـه كانـا عنـده أخفـى مـما بَعُـدا عنـه «(٢٠٠٠، ص: ١١٥).

إن الأسـاس في تقسـيم مراتـب الإخفـاء عنـد علـماء التجويـد يتعلـق بمقـدار الغنـة وبعـد حـروف الإخفـاء مـن النـون والتنويـن كـما بـيَّن ذلـك المرعـشي قائـلًا : «فإخفاؤهـما عنـد الحـروف الثلاثـة الأول أزيـد ، وغنتهـما الباقيـة قليلـة ، بمعنـى أن زمـان امتـداد الغنـة قصـير ، وإخفاؤهـما عنـد القـاف والـكاف أقـل وغنتهـما الباقيـة كثـيرة بمعنـى أن زمـان امتدادهـما طويـل ، وإخفاؤهـما عنـد بواقـي الأحـرف متوسـط ، فزمـان غنتهـما متوسـط ، ولم أر في مؤلـف تقديـر امتـداد الغنـة في هـذه المراتـب «(٢٠٠٨، ص:٢٠٤-٢٠٥).

وهذا الجدول يوضح لنا كيفية ذلك:

حروف الإخفاء بعدها وقربها عن مخرج النون	مرتبة الإخفاء	زمن الغنة
١-أقربها من مخرج النون (ط، د، ت)	أعلى	قصير
٢- أوسطها في القرب والبعد (ص، ذ، ث، ج، ش، س، ز، ف، ض، ط)	أوسط	متوسط
٣- أبعدها (ق، ك)	أدنى	طويل

أمـا عنـد الحنفـي فهـذا التقسـيم يأخـذ شـكلًا مغايـرًا مـمَّا أوضحنـاه آنفًـا ، إذ قسـم الإشـمام (الإخفاء)مـن حيـث الشـدة والضعـف عـلى ثـلاث مراتب(الحنفـي، ١٩٨٧، ص:٤٥٨-٤٥٩):

الإشـمام الـكلّيّ: وحروفـه ثمانيـة وهـي: (ث ذ ش ط ظ ف ق ك) مثـل قولـه تعالى ﴿ مِـنْ ذَكَـرٍ وَأُنثَى ﴾(الحجرات:١٣) فـإن رائحـة الـذال الآتية بعـد النون السـاكنة ظهـرت في النـون بوضوح.

الإشـمام الجـزئيّ: وحـروف خمسـة هـي: (ج ز س ص ض)، مثـل قولـه تعـالى : ﴿ مَـنْ جَـاءَ بِالْحَسَـنَةِ ﴾(الأنعام: ١٦٠)، وفي هـذا النمـط مـن الإشـمام تكـون الغنـة الإشـمامية مسـاوقة لغنـة النـون المحـررة عـلى غـير الحالـة الصوتيـة التـي تسـمع في غنـة الإشـمام الـكلي.

الإشـمام الخفـيّ: ويكـون في النُّـون السـاكنة مـع كل مـن حـرفي التـاء والـدال، مثـل (أنـت) و (عنـد) وهنـا تكـون غنـة النـون المحـررة هـي السـائدة في الجـو الصـوتي للحالـة الإشـمامية وذاك بسـبب ضعـف المـذاق الإشـمامي في ذينـك الحرفـين .

وقـد علّـق د. عبدالمنعـم النـاصر عـلى هـذا التقسـيم قائـلًا:»إنَّ الشـيخ الحنفـي لا يبـيّن بموجـب أيَّـة معايـير صوتيَّـة وضـع هـذه التصنيفـات للإخفـاء، فإننـا نجـد في كل مـن الصنفـين الأول والثـاني مزيجًـا مـن الحـروف الشـديدة والرخـوة، المجهـورة منهـا والمهموسـة... ولم يكـن ممكنًـا التعـرّف عـلى أسـاس هـذا التصنيـف «(٢٠٠٩،ص: ١٠٩).

ولكـن الناظـر في هـذا التقسـيم يـدرك أنـه أقامهـا عـلى أسـاس تفـاوت الغنـة مـن حيـث الشـدة والضعـف في الظهـور ، وليـس عـلى قـرب أو بعـد حـروف الإخفـاء عـن النـون السـاكنة والتنوين.كـما أنهـا ليسـت مبنيـة عـلى أسـاس طـول الغنـة أو قصرهـا.

وكذلـك أن الشـدة والضعـف يعـد مـن دقائـق علـم الأصـوات لقيـاس الصـوت، وهـذا التقسـيم عنـده يـدل عـلى إدراكـه الواضـح لطبيعـة صـوت النـون. فـلا يمكـن رفضـه، ذلـك أنـه محاولـة منـه لفهـم هـذه الظاهـرة فـلا مشـاحة

في تفسيرها بطريقة يقرب طبيعتها إلى الأذهان.

ومن ثمَّ يذهب الحنفي إلى أبعد من ذلك فيقسم الإشمام إلى قسمين آخرين بناءً على الملاحظة الصوتية عنده، وهي عبارة عن ما يمت من حروف الاخفاء إلى صفة القلقلة ، بحيث لا يتهيأ للجهاز الصوتي النطق بها إذا انغلقت عليها الغنَّة بسدّ الخيشوم. وهذه الحروف التي سماها الحنفي حروف القلقلة الإشمامية هي (القاف والكاف والجيم والتّاء والدَّال والطّاء) فإن قلنا (منْ كان) وسدّدنا الأنف استحال النطق بها. أمَّا بقية حروف الإشمام فإنها تؤدي مهمة الإشمام باعطائها ما فيها من رائحة مميزة عند سدّ الأنف على الرغم من أنَّ الغنة تكون مختلسة في هذه الحالة . (١٩٨٧، ص:٣٥٣).

من ذلك نستشف أن تقسيمات الحنفي مبنية على معايير صوتية لاحظها خلال النطق بهذه الحروف، ولم تكن اعتباطية.

وكذلك نرى أن المراتب التي حددها علماء التجويد قابلة للتغيير إلى صورة يسهل شرحها، من هنا أدرك باحثون آخرون هذه الحقيقة فقاموا بتفسيرها من جديد، ومن هؤلاء الباحثين د.محمد صالح ضالع، فبعدما صرّح أن هذه المراتب «لا تتفق مع الوصف الأصواتي المعاصر ورموزه لمثل هذا النوع من الأداء الصوتي وتحقيقه، حيث يوجد نظيره في بعض اللهجات واللغات الأخرى «(٢٠٠٢، ص:٩٠)، وحاول وضع أصوات الإخفاء في ثلاث مراتب خالف الترتيب الشائع عند علماء التجويد، المرتبة الأولى وضع فيها /ك، ق/، والمرتبة الثانية شملت /ف ث ذ ض س ز ص ش ج / أما المرتبة الثالثة وهي /ط د ت/، وهذا التقسيم عنده مبنية على بعد وقرب هذه الحروف من فتحة الممر الأنفي بحيث رتبها من أقرب الإصوات اليها إلى أبعدها (ضالع، ٢٠٠٢، ص:٩١) .

ولكن على الرغم من ذلك صرَّح د.غانم أن «تقسيم الإخفاء إلى مراتب سواء أمرتبتين أم ثلاثًا مقبول من الناحية الصوتية، وتؤيده الملاحظة الذاتية «(٢٠٠٧، ص:٣٨٣).

بناء على ذلك ما جاء به الحنفي في مراتب الإخفاء التي عنده الإشمام- يفسر وصفًا علميًا دقيقًا منه في الحالة الصوتية، مبنية على الملاحظة الذاتية لكل هذه الحروف عندما تتأثر بصوت النون والتنوين. كما أنه لم يعتمد فيها على معيار واحد وإنما أقامها على ما تتميز بها الحروف من صفات صوتية مختلفة.

الخاتمة:

إنَّ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة يمكن تلخيصها فيما يأتي:

الدراسة أظهرت لنا أن ما ذهب إليه الحنفي في ارتفاع اللسان في عملية الإدغام لا تتفق مع ما حدَّدته الدراسات الصوتية الحديثة، ولكن أصاب في تحليله الصوتي لمعنى الادغام الذي لا يعني ادخال حرف في الآخر. اتضح لنا أن الحنفي أصاب فيما ذهب إليه من وقوع الادغام في جميع حروف العربية ما عدا الألف. إلاَّ أن وصفه العلماء بالتوهم فيه شيء من الاجحاف بحق هؤلاء العلماء.

كشفت الدراسة أن المنهج الذي اعتمده الحنفي في تفسير ظاهرة الاقلاب يشمل مستويين ؛ إذ تناولها على أساس صوتي، فتبين له أن الاقلاب لا ينحصر في حرف الباء فحسب، بل يعرض لكثير من الحروف في سياقاتها الصوتية، أما الثاني فهي الناحية التعليمية فرأى فيها أن دراسة بعض العمليات الصوتية في باب الاقلاب تسهل فهمها على الدارسين.

إنَّ وصف الحنفي لعملية الإخفاء بالإشمام تجانب الصواب من الناحية اللغوية، لذلك كان أول من استعمل

اللفـظ بهـذا المفهـوم، ولم يسـبقه أحـد.

يتجـلى وجـه الاختـلاف في تفسـير هـذه الظواهـر عنـده في أمريـن : الأول، اختـلاف في التسـمية، والثـاني، اختـلاف في أصـول العمليـات الصوتيـة.

دیارده دەنگیەکان لەلای شێخ جەلال حەنەفی

لێکۆڵینەوەی (تێهەڵکێشان، هەڵگیڕانەوە، و شاردنەوە) وەک نمونە

ئـەم توێژینەوەیـە ئامانجـی دەستنیشـانکردنی کۆمەڵێـک دیـاردەی فۆنێتیکییـە، کـە پەیوەندیـدارە بـە لێکۆڵینـەوەی پیتـەکان لـە زمانـی عەرەبیـدا، کـە لەلایـەن توێژەرانـی زمانناسـانەوە گرنگییەکـی زۆری پێـدراوە، بـەو پێیـەی یەکێکـە لـە لێکۆڵینـەوە هاوبەشـەکانی نێـوان زانسـتی دەنـگ و زانسـتی جوانخوێنیدا(تەجویـد)، ئـەو دیـاردە دەنگیانـەش هـەر یـەک لە(تێهەڵکێشـان، هەڵگیڕانـەوە، و شـاردنەوە) ەن ،لـە ڕوانگـەی شـێخ جـەلال حەنەفـی بەغدادییـەوە. بـەو پێیـەی جـەلال حەنەفـی بـە یەکێـک لـە پسـپۆڕە دیارەکانـی توێژینـەوەی فۆنێتیکـی لـە عێـراق دادەنرێـت، کـە مامەڵـەی لەگـەڵ زۆر بابەتـی تایبـەت بـە دەنگـەکان کـردووە، کـە لەڕێگەیـەوە لێکۆڵینـەوەی لـە پەیوەندییەکانـی کاریگەریکـردن و کاریگەربوونـی نێـوان دەنگـە عەرەبییـەکان کـردوە، گرنگیـی و ڕۆڵـی ئـەو گۆڕانکاریەدەنگیانـەی نیشـانداوە کـە لـە ئەدائـی دەنگیـدا دەیبینێـت، وە بۆچوونـی کاریگـەرو و تێڕوانینـی جیـاوازی هەبـووە بەرامبـەر بـەم دیاردانـە، لـەڕووی هەڵوەسـتەکردن لەسـەر چەمـک و جـۆر و چوارچێوەکانیـان و هۆکارەکانـی دروسـتبونیان، بەجۆرێـک کـە زۆرجـار تێڕوانینـی جیـاواز و پێچەوانـەی زانایانـی زمانـناس هەبـوو کـە پێـش خـۆی لێکدانەوەیـان بـۆ ئـەو دیـاردە دنگیانـە کـردووە. بۆیـە لێکۆڵینەوەکانـی لەسـەر بنەمایەکـی ڕەخنەگرانـە تێڕوانینـە تایبەتەکانـی خـۆی لـە هەمبـەر ئـەو دیاردانـە بنیـاد نـاوە، یاخـود پشـت بەسـت بـووە بـەو شـیکارییە فۆنێتیکییـەکان کـە لەلایـەن توێژینـەوە نوێیەکانـەوە پشـتگیری دەکرێـت، وە هەوڵیـداوە بـە شـێوازێکی فۆنێتیکیانـە لێکدانەوەیـان بـۆ بـکات، و لـە ڕێگەیـەوە هەوڵیـدا ئـەو کەموکـوڕی و نارۆشـنیانە ڕوونبکاتـەوە کـە لـە لێکدانـەوەی هەندێکـی لـە زاراوە و چەمکـە دەنگیەکانـدا لـە نێـو زاناینـاس و زانایانـی زانسـتی تەجویـدا درکـی پێکردبـوو.

کلیلـە وشـەکان: دیـاردە دەنگیـەکان ، زانسـتی جوانخوێنـدن، حوکمـی نونـی سـکوندار، ئـەدای دەنگـی، زاراوە دەنگییـەکان.

Vocal phenomenas of AL-Sheikh Jalal Al-Hanafi
The research of (Al-Idghaam ,Al-Iqlaab and Al-Ikhfaa) as an example

This research aims to identify a group of phonetic phenomenas related to the study of letters in the Arabic language, which received great attention from researchers of linguists, as it is one of the joint investigations between phonology and intonation science, which has (Al-Idghaam,Al-Iqlaab and Al-Ikhfaa) as a reference, from the perspective of Sheikh Jalal Al-Hanafi Al-Baghdadi. As Jalal Al-Hanafi is considered to be one of the prominent specialists in phonetic studies in Iraq, he dealt with many phonetic issues, through which he studied the relationships the affect and influence

between Arabic tones, and demonstrated the importance that they can play in vocal performance, And he had good opinions and various views towards this phenomena, in terms of standing on their concept, types, limits, and the reasons behind them, as he went against the opinions of those who preceded him in their interpretation of them. So, he studied it in a critical interpretive study based on self-observation, or phonetic analysis supported by modern phonetic studies, and he attempted to interpret it phonetically, and through it, he sought to reveal the defect and disorders he found in interpreting some of the terms of these phenomenas among other scholars of language and intonation.

Keywords: vocal phenomena, the science of intonation, noon consonant rulings, vocal performance, phonetic terminology

المصادر والمراجع:

ابـن أبي مريـم، نـصر بـن عـلي بـن محمـد(١٩٩٣م)، الموضَـح في وجـوه القـراءات وعللهـا، تـح: د.عمـر حمـدان الكبيـسي، مكـة.

ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي(التأريخ غير متوفر)، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي.

ابـن الجـزري، محمـد بـن محمـد(١٩٨٥م)، التمهيـد في علـم التجويد،تـح: عـلي حسـين البَّـواب، الريـاض، مكتبـة المعـارف.

ابـن الـسراج، أبـو بكـر محمـد بـن سـهل البغـدادي(١٩٩٦م)، الأصـول في النحـو، تح:د.عبـد الحسـين الفتـلي، ط٣، بـيروت، مؤسسـة الرّسـالة.

ابن المجاهد، (١٩٧٢م)، السبعة في القراءات، تح: د.شوقي ضيف، مصر، دار المعارف.

ابـن جني(٣٩٢هـ)،أبـو الفتـح عثـمان(٢٠١٨م)، سرّ صناعـة الإعراب،تح:عـلاء حسـن أبـو شـنب،ط٢،المكتبة التوفيقية،القاهـرة.

ابـن جنـي، أبـو فتـح عثـمان(١٩٥٤م)، المنصـف لكتـاب التصريـف، تـح: إبراهيـم مصطفـى، و عبداللـه أمين،القاهـرة، إدارة إحيـاء الـتراث القديـم.

ابـن خالويـه، أبـو عبداللـه الحسـين بـن أحمـد (١٩٨٥م)، إعـراب ثلاثـين سـورة مـن القـرآن الكريـم، بـيروت، دار ومكتبـة الهـلال.

ابن فارس، أبو حسن أحمد بن فارس بن زكريا(٢٠٠١م)، مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

ابن منظور،إبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (٢٠١٤)، لسان العرب، ط٨، بيروت، دار صادر.

ابن يعيش، ابن علي النحوي(التأريخ غير متوفر)، شرح المُفصَّل، مصر، إدارة الطباعة المنيريَّة.

أمين، د. طه صالح آغا (٢٠٠٧م)، التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية، بيروت، دار المعرفة.

الأنصاري، أبـو جعفـر أحمـد بـن عـلي بـن أحمـد بـن خلـف(١٩٨٣م)، الإقنـاع في القِـراءات السَّـبع، تـح: د.عبدالمجيـد قطامـش، دمشـق، دار الفكـر.

برجشتراسر،(١٩٩٤م)، التطور النحوي للغة العربية، تح: د.رمضان عبدالتواب، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي.
برجشتراسر،(١٩٩٤م)، التطور النحوي للغة العربية، تح: د.رمضان عبدالتواب، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي.
التهانَوي، محمد علي(١٩٩٦م)، كشَّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: د.علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
التَّواب، د.رمضان عبد(١٩٩٧م)، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي.
ج.فندريس، (٢٠١٤م)، اللغة،ترجمة:عبدالحميد الدواخلي،ومحمد القصاص،القاهرة، المركز القومي للترجمة.
الجريسي، محمد مكي نصر(٢٠١١م)، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، ط٤، القاهرة، مكتبة الآداب.
حسان، تمام(١٩٥٥م)، مناهج البحث في اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
الحمد، د.غانم قدروي(٢٠٠٨م)، شرح المقدّمة الجزريَّة، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية.
الحمد، د.غانم قدوري(٢٠٠٤)، المدخل إلى علم الأصوات العربية، عمَّان، دار عمار للنشر والتوزيع.
الحمد، د.غانم قدوري(٢٠٠٧م)، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،ط٢،دار عمار،عمان.
الحنفي،جلال (١٩٨٧م)قواعد التجويد والالقاء الصوتي،جلال الحنفي، بغداد، وزارة الاوقاف والشؤن الدينية.
الدّاني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (٢٠٠٣م)، الإدغام الكبير، تح: د.عبدالرحمن حسن العارف، القاهرة، عالم الكتب.
الدَّاني،أبو عمرو عثمان بن سعيد (٢٠٠٠م)،التحديد في الاتقان والتجويد تح:د.غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار.
الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد(١٩٩٨م)، أساس البلاغة، تح:محمد باسل عيون السّود، بيروت، دار الكتب العلمية.
السخاوي، علي بن محمد(١٩٨٧م)، جمال القرَّاء وكمال الإقراء، تح: د.علي حسين البواب، المكة المكرمة، مكتبة التراث.
سيبويه(١٨٠هـ)، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٩٨٢م)، الكتاب،تح:د.عبدالسلام هارون،ط٢،مكتبة الخانجي،القاهرة.
شاهين، د.عبدالصبور (١٩٨٠م)، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة.
شاهين، د.عبدالصبور(١٩٨٧م)، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي
صالح، د.عبدالرحمن (٢٠١٢م)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر، موفم للنشر.
الضالع، د.محمد صالح (٢٠٠٢م)، التجويد القرآني دراسة صوتية فيزيائية، القاهرة، دار غريب.
عبده، د.داود(١٩٧٣)، أبحاث في اللغة ، بيروت.
عمر، أحمد مختار(١٩٧٦م)، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب.
عناد، د.جواد كاظم(٢٠١١م)، القراءات القرآنية في كتب معاني القرآن، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي.
الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد (١٩٨٣م)، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي ،و محمد علي النجار ،وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة.
الفراهيدي، الخليل أحمد، (د.ت)، العين،تح:د.مهدي المخزومي،د.إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.

القرطبي، عبدالوهاب بن محمد(٢٠٠٠م)، الموضح في التَّجويد، تح: د.غانم قدوري الحمد، عمان، دار عمار.
القيسي، محمد مكي بن أبي طالب(١٩٩٦م)، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تح: أحمد حسن فرحات ، ط٣، دار عمار،عمان.
كانتينو، جان(١٩٦٦م)، دروس في علم أصوات العربية، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الإقتصادية والاجتماعية.
المرعشي، محمد بن أبي بكر (٢٠٠٨م)،جهد المقل، تح: د.سالم قدوري الحمد، الأردن، دار العمار.
مكريني، د.بلقاسم (٢٠١٣م)، معجم المصطلح الصوتي عند علماء التجويد، بيروت، دار الكتب العلمية.
الناصر، عبدالمنعم(٢٠٠٩)، المنهج العلمي في دراسة قواعد التّلاوة، بيروت، دار الكتب العلمية.
الناصر، عبدالمنعم(٢٠١٢م)، شرح صوتيات سيبويه، بيروت، دار الكتب العلمية.
النعيمي، د.حسام سعيد (١٩٨٠م)، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، العراق، دار الرشيد للنشر.
الهدهد، د.حمدي صلاح (٢٠٠٨م)، مصطلحات علم القراءات، القاهرة، دار البصائر.
هلال، د.عبدالغفار حامد(٢٠١٤م)، القراءات واللهجات، الصحوت للنشر والتوزيع.
يعقوب، د.إميل بديع (٢٠٠٦م)، موسوعة علوم اللغة العربية، بيروت، دار الكتب العلمية.

المجلات والدوريات:

د.محمود مبارك عبدالله عبيدات (٢٠١٨م)، أحكام النون الساكنة في ضوء علم الأصوات المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد ٣١.
محمد بن سالم بن منيع الله النمري(٢٠١٧م)، أحكام النون الساكنة لدى علماء اللغة المتأخرين: دراسة صوتية، مجلة جامعة القاهرة - مركز اللغات والترجمة، مجلد ٦, العدد ٤.